الحلقة 21

محمد عبد المحسن ناصر الخرافي (3/1)

إعداد: مازن خرابة

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح.

فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد، وكفالة الأيتام، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة عبر هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف في هذه الحلقة مع سيرة محمد عبد المحسن ناصر الخرافي.

محمد عبد المحسن ناصر الخرافي

- عركته الحياة التجارية منذ بواكير حياته فكانت تجربته موفقة وناجحة بكل المقاييس
- أدرك أن المال الذي بين يديه لابد أن يكون فيه نصيب للمحتاج وصاحب العوز والفاقة
- قام ببناء عشرة مساجد في الكويت وثلاثة عشر مسجداً خارجها توزعت في معظم قارات العالم

مسجد المرحوم عبد المحسن ناصر الخرافي ونورة أحمد الخرافي في منطقة البدع

المولد والنشأة

هو محمد عبد المحسن ناصر عبد المحسن حسن عبد الله الخرافي، المولود في منطقة القبلة بمدينة الكويت عام 1338 هـ الموافق لعام 1919م. ينتمي إلى عائلة عريقة تعود أصولها إلى قرية الزلفى إحدى قرى منطقة نجد في الجزيرة العربية.

امتلك جده «ناصر» سفناً للنقل الشراعي من نوع البغلة، وفي موسم جني «التمر» من كل عام كان يذهب إلى الدورة (في شط العرب) لتصريف سفنه بالتمر، ثم يتجه بها بواسطة المراكب البخارية إلى الهند لترويج تجارته، حيث كانت له علاقات تجارية مع تجار كويتيين مقيمين في مدينتي كراتشي (الباكستانية) وبومباي (الهندية)، عندما كانت الهند وباكستان في ذلك الوقت دولة واحدة هي الهند.

وكان ناصر يعتمد في تجارته هذه على ابنه عبد المحسن، الذي حذق أصول التجارة من خلال أسفاره المتعددة، فكان الساعد الأيمن لوالده.

وبعدما شب وأصبح قادراً على الكسب تزوج وسكن في منزل قريب من الساحل في منطقة القبلة، ورزقه الله تعالى في عام 1338هـ (1919م) بمولود أسماه محمداً، تيمناً باسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت الكويت آنذاك إبان حكم الشيخ سالم مبارك الصباح.

وصار «محمد» وحيد أبويه، فانعقدت عليه الآمال العريضة بعد أن مات كل إخوته صغاراً، وكان هذا شأن كثير من الأسر الكويتية والخليجية بشكل عام في ذلك الوقت، حيث لم تكن النهضة الصحية الحالية قد عمت البلاد.

تعليمه

عندما بلغ محمد الخرافي السادسة من عمره التحق بالكُتَّاب لتعلم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم التحق بمدرسة الملا محمد صالح العجيري والد الفلكي المعروف د. صالح العجيري، وفي تلك المدرسة أتقن القراءة والكتابة، وتعلَّم تجويد القرآن الكريم.

وفي العطلات الصيفية كان والده يصطحبه معه إلى كراتشي (في باكستان) وهناك تعلم مبادئ اللغة الإنجليزية وغيرها من المهارات. وفي عام 1928م التحق بالمدرسة الأحمدية ليتلقى تعليماً نظامياً على أيدي معلمين متخصصين، وحصَّل فيها كل ما كان متاحاً من المهارات التعليمية الأساسية خلال أربع سنوات دراسية.

وفي عام 1932م بدأ مسيرة العمل في التجارة عندما أرسله والده في رحلة تجارية إلى عدن (باليمن) لتدريبه على أصول التجارة، وهناك التحق بمدرسة خاصة هي مدرسة «بازرعة» التي يملكها التاجر اليمني المعروف «بازرعة»، حيث درس بعض العلوم التجارية، كما واصل دراسة اللغة الإنجليزية، وكان في الوقت ذاته يتردد على النادي العربي في عدن، مما أتاح له الفرصة للاختلاط بالعرب من دول مختلفة ومعايشة الأفكار الجديدة في ذلك الميناء المنفتح على العالم.

ثم التحق بعد ذلك بمدرسة «الدولة» التي كانت تسمى كذلك، وهي مدرسة أنشأها الإنجليز في عدن لتعليم أبناء القبائل وفق النظام الإنجليزي، حتى يسهل التعامل معهم فيما بعد، فقد كانت عدن آنذاك مستعمرة بريطانية. وقد استفاد محمد الخرافي كثيراً من رحلاته التعليمية بين مدارس كراتشي وعدن فارتفع مستواه التعليمي والثقافي لدرجة لفتت إليه الانتباه وجعلته محط الإعجاب.

وفي نهاية الموسم الدراسي من كل عام كان محمد يستقل إحدى البواخر المتجهة إلى الكويت، لزيارة أهله ثم يعود إلى عدن مرة أخرى، بالطريقة نفسها لمواصلة تعليمه وتدريبه على التجارة. ولم يجد الشاب محمد صعوبة في ذهابه وإيابه؛ فقد كان ميناء عدن مركزاً تجارياً تقصده السفن القادمة من الكويت ومصر والهند في رحلاتها التجارية.

قصته مع العمل التجاري

في عام 1936م ذهب والده عبد المحسن (رحمه الله) في رحلته السنوية إلى عدن لزيارته، وخلال هذه الزيارة قرر الوالد أن يضع حداً لغربة أبنه وعاد به إلى الكويت، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته التجارية وذلك بالعمل إلى جوار والده الذي استقر بالكويت ولم يعد يسافر إلى تجارته في البصرة أو الهند، ولكنه كان ينيب ابنه عنه للسفر عند الضرورة.

وبعد عام قضاه في العمل مع والده في الكويت سافر محمد إلى كراتشي لينوب عن التاجر فهد المرزوق في إدارة متجره هناك، وذلك خلال وجود المرزوق في الكويت، والذي امتد لستة أشهر عاد بعدها محمد إلى الكويت مرة أخرى لمواصلة عمله مع والده الذي اتسعت تجارته مع الهند، ولذا توالت سفرات محمد إلى هناك حيث كان يطول به المقام إلى عام كامل أحياناً. وقد استهوته الحياة في الهند خاصة أنه رزق فيها بأصدقاء مخلصين.

واصل محمد عبد المحسن الخرافي رحلاته التجارية الموسمية إلى الهند لمتابعة تجارة العائلة هناك، بعد أن تزوج ابنة التاجر جاسم محمد بودي عام 1938م. وفي أوائل الأربعينيات قرر الإقامة في الهند فاصطحب معه زوجته وابنيه جاسم وناصر، وهناك أدخلهما إحدى المدارس بمدينة بومباي بينما تفرَّغ هو لعمله.

وفي أوائل الخمسينيات عاد إلى الكويت مع أسرته ولكنه استمر في السفر الموسمي إلى الهند لأمور تتعلق بتجارته، وزار العديد من البلدان الأخرى مثل إنجلترا ومصر، حيث كان يلتقي بأصدقائه من الطلبة الكويتيين.

وفي عام 1955م استقر نهائياً في الكويت وترك التجارة مع الهند بعد أن قُسِّمت إلى دولتين (الهند وباكستان)، وبدأت أموال النفط تنعش الاقتصاد الكويتي وتهيمن عليه؛ مما جعل التجارة مع الهند ليست كما كانت عليه من قبل من حيث الأهمية بالنسبة للكويت.

لقد كانت تجربة المرحوم محمد عبد المحسن الخرافي التجارية موفقة وناجحة بكل المقاييس، فقد عركته الحياة التجارية منذ بواكير حياته. والتجارة إما ربح وإما خسارة، وكلاهما يحتمان على الإنسان بذل الجهد والدخول في سباق مع الزمن، وهذا ما كان عليه المرحوم محمد الخرافي الذي استدعته التجارة إلى دنياها فأتى إليها بحثاً عن المجهول في عوالمها؛ مستلهماً من تجربة والده ما يعينه على المضي في الطريق الذي سلكه في الحياة.

أوجه الإحسان في حياته

إذا كان محمد عبد المحسن الخرافي، قد اتسعت رقعة أنشطته التجارية وتنوعت في الفترة التي أعقبت ظهور النفط وبداية حركة التنظيم والعمران في الكويت، فإنه إلى جانب ذلك كان يدرك أن المال الذي بين يديه لابد أن يكون فيه نصيب للمحتاج وصاحب العوز والفاقة، مصداقاً لقوله تعالى: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) سَورة المعارج.

وعَمَلاً بهذه المعاني القرآنية السامية، كان محمد الخرافي يفتح بابه لكل محتاج، فلم يرد سائلاً أبداً. وقد كان حريصاً على أن يكون ذلك سراً بينه وبين ربه، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

وقد أوصى المرحوم ذريته من بعده بالاستمرار في أعمال الخير بالصرف من ثلثه فكان عمله وعمل ذريته من بعده ظاهراً للعيان، شاهداً على حرصه وحرص ذريته على فعل الخير. فكان من الأعمال الكثيرة ما سنرى ملخصه في الصفحات التالية.

عمارة المساجد

أولا: داخل الكويت: قام محمد عبد المحسن الخرافي (رحمه الله) ببناء عشرة مساجد في دولة الكويت، توزَّعت في المدارس والمراكز التعليمية الكويتية، لإدراكه أن للمساجد دوراً ثقافياً وتعليمياً كبيراً، خاصة في المدارس، حيث تلقى فيها الدروس وتعقد المحاضرات والندوات وحلقات القرآن الكريم.

كما أسس مسجداً باسم والده المرحوم عبد المحسن ناصر الخرافي ووالدته المرحومة نورة أحمد الخرافي في منطقة البدع بالسالمية.

ثانياً: خارج الكويت شيد (رحمه الله) ثلاثة عشر مسجداً خارج دولة الكويت، وتوزعت في معظم قارات العالم كما يلي:

– قارة إفريقيا: قام ببناء ستة مساجد في كل من: ساحل العاج، والسنغال، وغينيا بيساو، وتوغو، والنيجر، وغينيا كوناكري.

– قارة آسيا: قام ببناء ثلاثة مساجد: اثنان منها في لبنان، والثالث في بنجلاديش.

– أوروبا وأمريكا: قام بتشييد أربعة مساجد؛ اثنان منها في أمريكا والثالث في هولندا والرابع في إنجلترا.

رعاية المعوقين

أولاً: داخل الكويت: تشييد مطبعة لطباعة الكتب الخاصة بالمكفوفين بطريقة (برايل) في شهر أبريل عام 1996م، وكانت أحدث مطبعة بالشرق الأوسط في ذلك الوقت، حيث تقوم بطباعة هذه الكتب للدول الخليجية والعربية والإسلامية.

– بناء صالة ألعاب رياضية خاصة بالمكفوفين أيضاً مع توفير كل تجهيزاتها داخل مدرسة النور.

– إنشاء مسرح وصالة لرعاية الأطفال المعاقين دون سن المدرسة بمنطقة السرة.

– كما وجه – رحمه الله – اهتماماً خاصاً لفئة أطفال الداون (المنغوليين) حرصاً منه على رعايتهم ومساعدة ذويهم في علاج مشكلتهم؛ وذلك من خلال تجهيز فصول خاصة بهم في خمس مدارس رياض أطفال بمختلف المحافظات وإشراكهم مع الأطفال الأصحاء.

ثانياً: خارج الكويت: بادر – يرحمه الله – إلى مواصلة هذا العمل الجليل في الخارج، حيث شيَّد مدارس خاصة للمعوقين والمكفوفين في كل من: الهند، وباكستان، وسيلان (سري لانكا).

وقد زودها – يرحمه الله – بكل ما يحتاجه المعوقون من وسائل الرعاية والتعليم الكفيلة بالمساهمة في حل مشاكلهم، ومساعدتهم على أن يكونوا أعضاء منتجين في مجتمعهم، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

مسجد محمد عبد المحسن ناصر الخرافي في مدرسة أم سلمة في الرميثية

مسجد محمد عبد المحسن ناصر الخرافي في غينيا بيساو